

أبياتٌ لنحاةٍ لم يقولوا غيرها

بقلم :

أ.د/ رياض حسن الخوام

جامعة أم القرى – كلية اللغة العربية

لا نعرف سرّ ذلك ولا ندرك مغزى أهل التراجم حين نصوا أحياناً على ذلك ، فهل مرادهم

يا تُرى أنهم حقاً لم يقولوا إلا هذه الأبيات ؟ أم مرادهم أنه لم يصل إلينا من شعرهم إلا ما

ذكروه ؟ والظاهر أن هناك نوعين من هذا الشعر ، نوع لم يصل إلينا إلا ما وصل ، وهو

بيت أو أبيات مفردة ، ونوع آخر لم يقل الشاعر أو العالم غيره ، فمن النوع الأول ما ذكره

السيوطي نقلاً عن ابن خالويه أنه قال :

أول من قال الشعر ابن حذام ، ذكره امرؤ القيس بقوله :

عُوجًا على ظلِّ الديار لعلنا نبكى الديار كما بكى ابن حذام

وعقب السيوطي قائلاً : " وهو رجل من طيء ، لم نسمع شعره الذي بكى فيه ، ولا شعراً

غير هذا البيت الذي ذكره امرؤ القيس " (١) .

أما النوع الثاني فهو الذي يهمننا الآن فمما ورد إلينا منه ما حكاه أبو الطيب اللغوي عن

أبي عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ ، قال كان نقش خاتمه :

إِنَّ امْرَأً دَنِيَاهُ أَكْبَرُ هَمِّهِ لَمَسْتَمْسِكْ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرُورٍ

وأضاف قائلاً : " وهذا البيت له وكان رجلاً صالحاً ولا نعرف له شعراً إلا هذا البيت (٢) .

وأوهم أبو الطيب ما تحدث به بعد ذلك حين قال : ومما كتب به أبو روق الهزاني

البصري ، قال أخبرنا الرياشي عن ابن مُنَازِر قال : قال أبو عمرو : أنا قلت :

وَأُنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَّرْتُ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا

فألحقه الناس في شعر الأعمشى " (٣) فهل لأبي عمرو بيتان فقط أو بيت واحد ذلك الذي

سجله علو خاتمه؟، لقد جلا هذا الوهم ابن جني بقوله : قال أبو عمرو بن العلاء - رحمة

الله عليه - : ما زدت في شعر العرب إلا بيتاً واحداً .

يعني ما يرويه للأعمشى من قوله :

وَأُنْكَرْتَنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَّرْتُ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلْعَا (٤)

٢ - مراتب النحويين ٣٣

٣ - المراتب ٣٤

٤ - الخصائص ٣١٠/٣

ولم أخضبُ مخافةً هجر خلٌّ ولا عتّباً خشيتُ ولا عتاباً

ولكنّ المشيبَ بدا دميماً فصيّرت الخضابَ له عقاباً^(٨)

- وذكر السيوطي في نهاية ترجمة العكبري المتوفى سنة ٦١٦هـ ، ما نصه : " وله

يمدح الوزير ابن مهدي ولم يقل غيرها :

بك أضحي جيدُ الزمان محلّي بعد أن كان من علاه مُخلّي

لا يجاريك في نجاريك خَلقُ أنت أعلى قدراً وأعلى محلّاً

دمتُ تُحي ما قد أميتَ من الفضـ لـ وتنفي فقراً وتطرّد محلّاً^(٩)

وأجد نفسي مدفوعاً بعد هذا كله إلى ذكر ما هو أعجب ، إذ إن بعض العظماء من اللغويين

كانوا يمتنعون عن إنشاء الشعر أو نظمه ، فقد ذكر صاحب العقد الفريد أن "الخليل بن

أحمد أروى الناس للشعر ، ولا يقول بيتاً ، وكذلك كان الأصمعي " وأضاف موضحاً سبب

ذلك بقوله " وقيل للأصمعي : ما يمنعك من قول الشعر ؟ قال : نظري لجيده ، وقيل

للخليل : مالك لا تقول الشعر ؟ قال : الذي أريده لا أجده والذي أجده منه لا أريده " (^{١٠})

^٨ - البيهقي ٤٧٩/١ ، تحقيق : علي عمر

^٩ - البيهقي ٣٦/٢

^{١٠} - العقد الفريد ٢٩٦/٥

فله دره على هذا الجواب الذي لا يُستغرب من رجل يعد من أذكىء العالم

المصادر والمراجع :

- بغية الوعاة للسيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ،

صيدا ، لبنان ، وطبعة أخرى بتحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ،

الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م .

- الخصائص ، لابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الهدى ، بيروت ،

لبنان ، الطبعة الثانية .

- العقد الفريد ، لابن عبد ربه ، شرح إبراهيم الأبياري ، تقديم الدكتور : عمر عبد

السلام التدمري ، دار الكتاب العربي .

- الفهرست لابن النديم ، الناشر دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

- مراتب النحويين ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار نهضة مصر .